

والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريًا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزجر له وإنكى فيه.

أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢٧﴾

﴿الذي﴾ بدل من كل أو نصب على الذم. وقرئ: جمع بالتشديد وهو مطابق لعنده، وقيل: عدده جعله عدة لحواث الدهر. وقرئ: وعدده، أي: جمع المال وضبط عدده وأحصاه، أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه. من قولك: فلان وعدد وعدد، إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم، وقيل: وعدده معناه وعده على فك الإدغام نحو ضننوا.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ﴿٢٨﴾

﴿أخلده﴾ وخلده بمعنى: أي طول المال أمله ومناه الأمانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت، أو يعمل من تشييد البنين الموثق بالصخر والأجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً، أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فاما المال فما أخلد أحداً فيه. وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف، وعن الحسن أنه عاد موسراً فقال: ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لثيم، ولا تفضلت على كريم، قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونوائب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إن تدعه لمن لا يحمك وترد على من لا يعنرك.

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْأُخْتَلَةِ ﴿٢٩﴾

﴿كلا﴾ ردع له عن حسابانه. وقرئ: لينبذان، أي هو وماله. ولينبذن بضم الذال أي: هو وأنصاره. ولينبذنه ﴿في الحطمة﴾ في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقي فيها. ويقال للرجل الأكل: إنه لحطمة.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ ﴿٣٠﴾

وقرئ: ﴿الحاطمة﴾ يعني: أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان اللطيف من الفؤاد ولا أشد تالماً منه بأنى أنى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه.

نَارُ اللَّهِ الْمُرْتَدَّةُ ﴿٣١﴾ أَلَّتْ تَطْلُعُ عَلَى الْأَقْيَدَةِ ﴿٣٢﴾

أشق لتهافت الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم، أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيها جميعاً من دلائل القدرة، أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ ﴿٣٣﴾

والإنسان للجنس. والخسر الخسران. كما قيل: الكفر في الكفران، والمعنى: أن الناس في خسران من تجارتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا، ومن عدهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّسَعُوا بِالْحَقِّ وَاللَّيْلِ

﴿٣٤﴾

﴿وتواسوا بالحق﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. ﴿وتواسوا بالصبر﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلى الله به عباده، عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ وَالْعَصْرِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَكَانَ مِنَ الْمُتَوَّصِينَ بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَى بِالصَّبْرِ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الهزرة مكية

الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن. يقال: لمزه ولهزه، طعنه، والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم، واغتيالهم والطعن فيهم. وبناء فعله يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها. ونحوهما: اللعنة والضحكة. قال:

ول إنغيب فانت الهامز اللمزة

وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً ﴿١﴾

وقرئ: وبل للهزمة للهمزة^(٢). وقرئ: وبل لكل همزة لمزة، يسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عابته الغيبة والوقية، وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله ﷺ وغضه منه، ويجوز أن يكون السبب خاصاً

= فيها وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب، حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضاربة بحطم كل ما يلقي إليها.

(1) نكره الثعلبي وابن مروييه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي /4 281

(2) قال أحمد: وما أحسن مقابلة الهزمة اللمزة بالحطمة، فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه وتمتكنة منه، أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحطمة، لما يلقي =

يكسوم وطاقره يلقق فوقه حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه.

وقيل: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة وقيل: بثلاث وعشرين سنة.

وعن عائشة رضي الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان. وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب

مانتي بعير فخرج إليه فيها فجهره وكان رجلاً جسيماً وسيماً. وقيل: هذا سيد قریش وصاحب عير مكة الذي

يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال. فلما نكر حاجته قال: سقطت من عيني جثت لأهدم البيت الذي

هو نينك ودين أبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر، فالهاك عنه نود أخذك. فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب

سيمعه، ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول: لا هم إن المرء يمد نعه أهله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك إن كنت تاركهم وكعد

بنتنا فامر ما بدالك يارب لا أرجولهم سواك يارب فامنع منهم حماك

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحر اليمن فقال: والله إنها لطير غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية. وفيه أن

أهل مكة قد احتوا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره، وعن أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال: حمام مكة منها. وقيل: جاءت عشية ثم صبحتهم، وعن

عكرمة: من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

وقرى: ﴿الم تر﴾، يسكون الراء للجد في إظهار اثر الجازم. والمعنى: أنك رأيت آثار فعل الله بالحيشة وسمعت

الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة. ﴿كيف﴾ في موضع نصب بفعل ربك، لا بالهم تر لما

في كيف من معنى الاستفهام.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾

﴿في تضليل﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلل كيده، إذا جعله ضلالاً ضائعاً، ومنه قوله تعالى: وما كيد الكافرين

إلا في ضلال. وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل، لأنه ضلل ملك أبيه، أي: ضيعه، يعني: أنهم كانوا البيت أولاً

ببناء القليس وأرأوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكابوه، ثانياً بإرادة

هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم.

وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبْرَصًا ﴿٣﴾

﴿أبرص﴾ حزائق الواحدة إبالة، وفي أمثالهم: ضغت على إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في

نار جهنم واستولت عليه، ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى: اطلاع النار عليها أنها تلوها وتغلبها وتشتمل عليها، أو تطلع على سبيل المجاز معانن موجبها.

إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٤﴾ فِي عَمْرِؤِ مُّؤَدَّدَةٍ ﴿٥﴾

﴿مؤصدة﴾ مطبقة قال:

تحن إلى أجدال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

وقرى: في عمد بضميتين، وعمد بسكون الميم، وعمد بفتحيتين، والمعنى: أنه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فنؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب

العمد استيثاقاً في استيثاق. ويجوز أن يكون المعنى: أنها عليهم مؤصدة موثقين.

في عمد ممدة مثل المقاطر التي تقطر فيها للصوص. اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار. عن رسول الله ﷺ:

«من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ محمد وأصحابه»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل مكية

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسمها القليس،

وأراد أن يصرف إليها الحاج. فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلاً فأغضبه ذلك. وقيل: أجمت رفقة من العرب ناراً

فحملتها الريح فأحرقتها. فحلف ليهذ من الكعبة. فخرج بالحيشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً،

واثد عشر فيلاً غيره، وقيل: ثمانية، وقيل: كان معه ألف فيل وكان وحده. فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب

وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى، وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح،

وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هروا. فأرسل الله طيراً سوداً. وقيل: خضراً. وقيل: بيضاً، مع كل

طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من

دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل. وبوى أبرهة فتساقطت أنامله وأرابه وما

مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي /4